أبـو إسحاق الزَّجَّاج

" حياته وآثاره وأشعاره "

تأليف الدكتور

مجدي إبراهيم محمد إبراهيم

obeikan.com

الكتـــــــاب : أبو إسحاق الزَّجَّاج / د. مجدى إبراهيم

المـــــــؤلف: إبراهيم، مجدي

النـــــــوع: علوم اللغة العربية

تصميم الغلاف : شيماء رضوان

الطبـــــــعة: الأولى/ القاهرة ٢٠١٢ – نشر إليكتروني

عدد الصفحات: ٧٥ صفحة

المقـــــــاس: ١٧×٢٤

تدمـــــــك

-١

صرح للنشر والتوزيع | فكر يصنع حضارة

المدير العام: عبود مصطفى عبود

كورنيش المعادي، بجوار مستشفى السلام الدولي، أبراج المهندسين (أ)

برج (٢) الدور العاشر.

ت: (٢٥٢٤٠١٦٦)(+٢)

البريد الإليكتروني: darsarh@gmail.com

الموقع الإليكتروني: www.dar-sarh.com

رقـــــــم الإيداع:

التـــــرقيم الدولي:

ديـــــــــوي:

حقوق النشر محفوظة للناشر

لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إليكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر

obeikan.com

"وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

" سورة هود أية ٨٨ "

obeikan.com

المبحث الأول

ترجمة حياة الزَّجَّاج

obeikan.com

ترجمة حياة الزَّجَّاج

أولاً الزَّجَّاج " اسمه ولقبه"

هو أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل الزَّجَّاج[١] وحين نستقرى كتب التراجم والطبقات نجد أن بعضهم أثبت أن والده محمد فقالوا: إبراهيم بن محمد بن السرى الزَّجَّاج[٢] وبعضهم أثبت أن والده السرى فقال : إبراهيم بن السرى الزَّجَّاج دون ذكر سهل[٣] وبعضهم الآخرأسقط إبراهيم من اسمه ، وأثبت أن السرى والده ، فقالوا: هو أبو إسحاق بن السرى بن سهل البصرى[٤] وهناك من أثبت أن جده سهل[٥]

١- تاريخ بغداد: ج٦ ص ٦٩، البداية والنهاية: ج١١ ص ١٤٨ ، وإنباه الرواه ج١ ص ١٥٩ ، ومعجم الأدباء : ج١ ص ١٣٠ ، وطبقات الزبيدى : ص ١١١.

٢- نزهة الألباء : ص ٢٤٠ ، والفهرست : ص ٩٠ ، وإنباه الرواه : ج١ ص ١٥٩.

٣- تهذيب اللغة : ج١ ص ٢٧، والكامل: ج٨ ص ١٤٥ ، وأخبار النحويين المصريين : ص ١٠٨ ، ومراتب النحويين : ص ١٣٦.

٤- تهذيب الأسماء واللغات : ج٢ ص ١٧٠.

٥- طبقات النحويين:ص١٢١، وتاريخ بغداد: ج٦ ص٦٩ ، ومراتب النحويين: ص١٣٦، وإنباه الرواة: ج١ص١٥٩، ووفيات الأعيان: ج١ ص٣١، وبغية الوعاة: ص١٧٩.

بيد أن البعض الآخر جمع بين الأمرين فقال إنه هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد السرى بن سهل الزَّجَّاج[١].

والذى نرجحه أن اسمه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزَّجَّاج ، نظراً لأنه أورد اسم أبيه وجده ولقبه.

وقد ضبط ابن الاثير لقبه قائلاً: الزَّجَّاج بفتح الجيم والزاى المشددة وفى آخرها جيم أخرى ، يقال لمن يعمل الزُّجَاج ، والمشهور بهذه النسبة أبو إسحاق إبراهيم بن السرى بن سهل الزَّجَّاج النحوى[٢]

أما سبب تلقيبه بالزَّجَّاج فيرجع إلى عمله على خراطة الزُّجَّاج ، وقد صرح الزَّجَّاج نفسه بذلك ، إذ روى عنه أبو محمد بن درستويه (ت ٢٤٧هـ) فقال: حدثنى أبو إسحاق الزَّجَّاج : قال: كنت أخرط الزُّجَاج [٣] ويقول

١- وفيات الأعيان:ج١ ص٤٩ ، وشذرات الذهب: ج٢ ص٢٥٩ ، ومفتاح السعادة : ج١ ص ١٦٣.

٢- اللباب فى تهذيب الأنساب : ج٢ ص ٦٢.

٣- تاريخ بغداد :ج٦ ص٩ ، وإنباه الرواة : ج١ ص ١٥٩ ، ونزهة الألباء : ص ٢٤٤.

السيوطى: وكان الزَّجَّاج يخرط الزجاج ثم مال إلى النحو ، وأراد أن يأخذ عن المبرد ، فقال له : ما صنعتك ؟ قلت: أخرط الزجاج، وكسبى كل يوم درهم ونصف ، وأريد أن تبالغ فى تعليمى ، وأنا أعطيك كل يوم درهما، وأشرط لك أن أعطيك إياه أبداً حتى يفرق الموت بيننا..."[١] من خلال هذه الرواية يتبين لنا أن صناعته خراطة الزجاج أثناء فترة تحصيله العلم على يد شيخه المبرد ، وكان يدفع أجر تعليمه من كسب يده درهماً يعطيها كل يوم للمبرد حتى استطاع أن يتعلم النحو.

ثانيا مولده ونشأته

لم يهتم أحد من المؤرخين بسنة ولادته وطفولته ، لأن الإنسان يولد ولا يتكهن الناس بمصيره فى مستقبل الأيام. ومعنى هذا إننا لم نقف على شىء من طفولة الزَّجَّاج ونشأته لعدم تعرض المؤرخين إليها، وما وقفنا عليه هى

١- بغية الوعاة : ص ١٧٩ ، ووفيات الأعيان : ج١ ص ٤٩.

obeikan.com

رواية لياقوت عن ابن بشران[١] تذكر موطن إقامته في بغداد ، يقول: "كان أبو إسحاق ينزل بالجانب الغربى من بغداد ، وفى الموضع المعروف بالدويرة"[٢] .

ومعنى هذا أنه بعد أن شب عن الطوق نزل الدويرة ليتعلم العلم على يد كوكبة من علماء عصره ، فقد انكب على دراسة العلوم فى مختلف مجالاتها فهماً ودرساً وتحصيلاً ، أخذ علوم النحو واللغة والحديث والفقه والتفسير والأخبار عن جلة علماء عصره.

ثالثا وفاته

نحن نعلم – عادة – أن المؤرخين لا يهتمون بذكر سنة ولادة أى إنسان ، لأنهم لا يتكهنون بما حدث له فى حياته من نبوغ أو تفوق أو غير ذلك ، ومن ثم لم تذكر المصادر تاريخاً لولادته ، وكذلك الأمر اختلفوا فى تحديد سنة وفاته – على الرغم من الشهرة والمكانة التى حظى بها

١- هو محمد بن أحمد بن سهل الحنفى الواسطى المعروف بابن الخالة المتوفى بسنة ٤٦٧، انظر ترجمته فى إنباه الرواة : ج٣ ص ٤٤ ، وبغية الوعاة : ج١ ص ٢٦.

٢- معجم الأدباء : ج١ ص ١٤٧.

فى أواخر سنى حياته وترددوا فى تحديدها ما بين - ٣١٠هـ -٣١١هـ- ٣١٦هـ" ، والذى رجحوه أن سنة (٣١١هـ) هى سنة وفاته بدليل أن أغلب المصادر التى ترجمت له حددتها ، انظر: ابن الاثير فى الكامل ج٨ ص١٤٥ ، والقفطى فى إنباه الرواة ج١ص١٦٣ ، وياقوت الحموى فى معجم الأدباء : ج١ص١٣٠ وابن خلكان فى وفيات الأعيان: ج١ص١٥٠ ، والسمعانى فى الأنساب: ج٦ ص٢٥٨ ، والخطيب البغدادى : فى تاريه بغداد : ج٦ ص٩٣ ، وأبو البركات الأنبارى فى: نزهة الألباء ص٢٤٦، والحفاظ الداودى فى طبقات المفسرين ج١ ص١٠ ، والعماد الحنبلى فى : شذرات الذهب : ج٢ ص٢٥٩ ، وأحمد مصطفى فى مفتاح السعادة : ج١ ص٣١١ ، وابن تغرى فى النجوم الزاهرة ج٣ ص٢٠٨ ، قال ياقوت الحموى: "إنه مات فى جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، وحكى أنه لما حضرته الوفاة سئل عن سنه فعقد أصابعه يشير إلى أنه عَمَّر سبعين ج١ ص١٣٠.

أما سنة ٣١٠هـ فقد انفرد بها ابن النديم وحدها دون غيره ، يقول: " وتوفى الزَّجَّاج يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشر وثلاثمائة ، انظر ابن النديم فى الفهرست : ص٩٠.

أما سنة ٣١٢هـ فقد انفرد بها القاضى التنوخى ، يقول : روى ابن خالويه أنه (أى الزَّجَّاج) توفى سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة وقال: " دخلت بغداد سنة أربع عشرة وثلاثمائة بعد موت الزَّجَّاج بسنتين" انظر القاضى التوخى ، تاريخ العلماء النحويين ص٤٠.

والذى نرجحه أنه ولد سنة ٢٣٩هـ ، وتوفى سنة ٣١١هـ ، لأن أغلب المؤرخين نصوا على ذلك ، وبذلك يكون قد عاش نحو ثمانين عاماً ، بدليل أن شيخه ثعلباً أرسله لفض حلقة المبرد بعد مقتل المتوكل سنة ٢٤٧هـ، وتصدى لمناقشته فى أربع عشرة مسألة ، انظر: طبقات النحويين واللغويين ص١١٨ وما بعدها ، وإنباه الرواة :ج٣ ص٢٤٩، ومعجم الأدباء ج ١٩ ص٢٥٠، ولا يصدق أحد أن يرسل ثعلبُ الزَّجَّاج لفض حلقة المبرد العلمية وعمره

أحد عشر عاماً ، ومن ثم لا نرجح أنه توفى سنة ٣١٦هـ، وإنما توفى سنة ٣١١هـ ، وبذلك يكون قد عاش إحدى وثمانين عاماً وأنه أرسل لفض حلقة المبرد وعمره سبعة عشر عاماً.

رابعا شيوخه

لقد تعلم الزَّجَّاج على يد كوكبة من علماء عصره أمثال المبرد وثعلب وابن القاضى وغيرهم. وهؤلاء العلماء من أساطين اللغة والنحو والأدب والفقه والتفسير، استفاد منهم الزَّجَّاج. ومعنى هذا انه تلقى ثقافته من منابع متعددة ، وأخذ من كل فن بطرف ، شأنه فى ذلك شأن معظم العلماء المتقدمين عليه ، لم يكن همهم قاصراً – فى بداية حياتهم العلمية – على فرع واحد من العلم ، بل كانوا ركيزة فى مختلف العلوم والآداب ، ثم يميلون بعد مرحلة من الدراسة إلى نوع من التخصص يتوافق مع طباعهم وما تهواه أمزجتهم ، ذلك لأنهم كانوا على بينة من أن العلوم يخدم بعضها بعضاً ، وكانوا يعلمون جيداً أن الاقتصاد على فن واحد لا يغنى المرء فتيلاً ، ولسنا هنا بصدد حصرهم ،

ولكنا نشير إلى أكثرهم تأثيراً فى نفسه ، وعقله ، وأقــواهم فعلاً فى حياته ، أو من كانت ملازمته له أكثر ، وفيما يلى قائمة مختصرة بأسماء شيوخه المشهورين الــذين علمــوه وأخذ عنهم مباشرة

١- أحمد بن يحيى المعروف بثعلب ، وكنيته أبــو العباس ، المتوفى سنة ٢٩١هــ[١] نص الزَّجَّاج على ذكره قائلاً: "كنت أقرأ على أبى العباس ثعلب" [٢] وقولــه أيــضاً لأصحابه الذين أرادوا معه فض حلقة المبرد: عودوا إلــى الشيخ (ثعلب) فلست مفارقاً هذا الرجل (المبــرد) [٣] وهــو بذلك يكون قد أخذ النحو الكوفى على يد ثعلب.

٢- محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ، وكنيته أبــو العباس ، المتوفى سنة "٢٨٥هــ"[٤] وذكره الزَّجَّــاج فــى

١- الفهرست : ص ١١٠، نزهة الألباء : ص ٢٢٨ ، وطبقات الزبيدى : ص ١٤١.

٢- نزهة الألباء : ص ٢٢٥.

٣ - طبقات الزبيدى: ص١٠، وشذرات الذهب: ج٢ ص٢٥٩، ووفيات الأعيان: ج١ص٤٩.

٤- الفهرست : ص٨٧ ، طبقات الزبيدى : ص١٠١ ، نزهة الألباء : ص ٢١٧ ، تاريخ العلماء النحويين : ص ٥٣.

obeikan.com

معانى القرآن كذلك [١] وقد نص الزَّجَّاج على أنه تتلمذ على يديه بقوله: " فتيقنت فضله ، واسترجعت عقله ، وأخذت فى ملازمته [٢] وهو بذلك يكون قد تعلم النحو البصرى على يد المبرد.

٣- إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل القاضى ، وكنيته أبو إسحاق المتوفى سنة ٢٨٢هـ [٣] وهو شيخ الزَّجَّاج فى القراءة والدليل على ذلك أنه ذكره فى كتابه معانى القرآن قائلاً: "وأكثر ما أرويه فى القراءة فى كتابنا هذا، فهو عن أبى عبيد مما رواه إسماعيل بن إسحاق ، عن أبى عبد الرحمن عن أبى عبيد [٤] وفى موضع آخر يقول: " وأخبرنى إسماعيل بن إسحاق" [٥] وفى موضع ثالث يقول: "هذا ما سمعته من إسماعيل بن إسحاق" [٦].

١- معانى القرآن : ج١ ص ٣٥٠ ، ج٢ ص ٧٧ ، والفهرست : ص ٩٠ ، ووفيات الأعيان : ج١ ص٤٩ ، وأخبار السيرافى : ص ٨٠.

٢- معجم الأدباء : ج١٩ ص ٢٥٠ ، وإنباه الرواة : ج٣ ص ٢٤٩.

٣- بغية الوعاة : ج١ ص ٤٤٣ ، ومعجم الأدباء : ج٦ ص ١٢٩.

٤- معانى القرآن وإعرابه : ج١ ص ١٥٧.

٥- المصدر السابق : ج١ ص ١٩٧.

٦- المصدر السابق: ج١ ص ٩٦.

وهناك طريق آخر تلقى به الزَّجَّاج علمه غير الطريق الذى أخذ به مشافهة من العلماء الذين عاصرهم ، يتمثل فى العلماء الذين لم يدركهم ولم يعاصرهم، لكنه تعلم عن طريق ما خلفوه من تراث ، حيث إنه نقل من كتبهم، ومما يؤيد هذا الكلام أنه أورد ذكرهم فى كتابيه معانى القرآن وما ينصرف ومالا ينصرف - على قلة المطبوع فى الأول وصغر حجم الثانى ، نذكرهم فى بيان إحصائى على الوجه الآتى:

أولاً كتاب معانى القرآن وإعرابه:

أورد الزَّجَّاج ذكر سيبويه (١٩) مرة ، وأبى الحسن الأخفش (١٧) وأبى عبيدة (١٥) والفراء (٤) والكسائى (٤) وقطرب (٣) والمازنى (٢) ويونس (١) والرياشى (١) والقاسم بن سلام(١).

ثانياً كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف:

أورد ذكر سيبويه (٦٩) مرة ، والخليل (٣٧) مرة ، والمبرد (١٠) ويونس (٥) والأخفش (٤) ، والمازنى (٣) ،

والأصمعى (١) ، وأبى عمر بن العلاء (١).من خلال هذا الإحصاء نستنتج – بقليل من النظر– أن جل اعتماده على إمام العربية سيبويه ، فهو ينقل عنه كثيراً لإعجابه بـــه ، ومما يؤيد هذا قوله عنه: "وإذا تأملت الأمثلـــة فـــى كتـــاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة"[١]

ونتج عن هذا الإعجاب فهم الزجاج لما فى كتـــاب سيبويه ، لدرجة شهد له معاصروه بها ، يقول الزبيـــدى : "قال أبو على: حدثنى أبو بكر مبرمان ، قال: قصدت ابـــن كيسان لأقرأ عليه كتاب سيبويه ، فامتنع ، وقال: اذهب إلى أهله ، يشير بذلك إلى الزجاج" [٢].

خامساً خلقه :

كان الزجاج يتحلى بالوفـــاء والـــصدق والأخـــلاق الرفيعة والسجايا الحميدة ويرى أن هذه الصفات ضـــرورية لطالب العلم يجب التحلى بها قبل تحصيل العلم ، فهو رجل يزينه الصلاح والتقوى والبعد عن الرياء وتطلعات النفـــس

١- طبقات النحويين واللغويين : ص ٧٣.

٢- المصدر السابق : ص ١٥٣.

إلى زخارف الحياة ، ويجمله عقل راجح ينأى به عن الهوى والغرض ، ويقوده إلى الاعتدال والقصد وينير له طريق الحق ويرسم له جادة الصواب فى دينه ودنياه ، ومن هنا كانت ثقة الناس فى دينه وعلمه ، كما حملهم ما كان يتمتع به من تلك الصفات الطيبة على هيبته واحترامه. قال عنه ابن كثير: "كان فاضلا دينا ، حسن الاعتقاد ، وله من المصنفات الحسنة [١] وقال عنه الأزهرى: "كان من أهل العلم والأدب والدين المتين" [٢] وقال عنه الخطيب البغدادى: "ت٤٦٣هـ" كان من أهل الفضل والدين ، حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، له مصنفات حسان "[٣] وقال عنه الزَّجَّاجى: "كان من أهل الفضل والدين" [٤] حسن العقيدة ، جميل الطريق" [٥] فاضلاً دينا [٦] وكان آخر ما سمع منه" اللهم

١- تاريخ بغداد : ج٦ ص ٨٩.

٢- تهذيب اللغة : ج١ ص ٢٧.

٣- البداية والنهاية : ج١١ ص ١٤٨.

٤- تاريخ بغداد : ج٦ ص ٨٩ ، ومجالس العلماء: ص ١٦٤.

٥- نزهة الألباء: ص ٣٠٩.

٦- البداية والنهاية : ج١١ ص ١٤٨.

احشرنى على مذهب أحمد بن حنبل" [١] وقصته مع مُسَيْنة [٢] دليل على حُسن خُلقه وتورعه ، فيروى أنه اختصم مرة مع رجل يدعى مُسَيْنة ، فشتمه الزَّجَّاج وسَبَّه ، فكتب إليه مُسَيْنة بهذه الأبيات [٣] :

أبى الزَّجَّاج إلا شَتْم عِرْضى ∴ لينفعه فَأَثَّمَهُ وضَرَّهُ
أقسم صادقاً ما كان حُراً ∴ ليطلق لفظه فى شتم حُرَّه
فأصبح قد وقاه الله شراً ∴ ليوم لا وقاه الله شَرَّه

فلما اتصل هذا الشعر بالزَّجَّاج قصده راجلاً واعتذر إليه ، وسأله أن يعفو عنه ويسامحه. والذى بدا لى أن الزَّجَّاج خاف من الله فأسرع بالاعتذار ، ذلك أن الاعتذار والرجوع إلى الحق فضيلة ، وهذا يدل على خوفه وورعه.

أما وفاؤه فشيمة ظاهرة تتضح بأجلى صورها فى علاقته بأَسَاتِذَتِه ، وشيوخه ، فهو لم يتنكر لأستاذه ثعلب بعد

١- معجم الأدباء : ج١ ص ١٣٧ وما بعدها.

٢- فى تاريخ بغداد : ج٦ ص ٩١ "مسيندة" وفى إنباه الرواة : ص ١٦٣ "مسيند"

٣- انظر هذه القصة فى إنباه الرواة : ص١٦٤ وما بعدها ، وتاريخ بغداد : ج٦ ص١٩٠ وما بعدها

أن اعتزل حلقته الدراسية ، بل كان يزوره ، وكان يترجم له ، وحينما سمع بموته بكى"[١] ومما يدل على وفائه أيضاً أنه بعد أن استغنى عن الدرس على المبرد كان يعطيه الدرهم كل يوم إلى أن مات " [٢] وكان يتفقده بعد ذلك بما يقدر عليه ، وكان يخدمه فى أموره مع ذلك [٣]

وصفوة القول أنه كان مثلاً أعلى للخلق القويم والتواضع الجم والعلم الغزير المتين.

obeikan.com

١- معجم الأدباء : ج١ ص ١٣٧.

٢- طبقات النحاة : ج١ ص ١٤٠.

٣- معجم الأدباء : ج١ ص ١٣٧.

المبحث الثانى

ثقافته وأشعاره

obeikan.com

obeikan.com

ثقافته وأشعاره

أولاً ثقافته :

كان الزَّجَّاج يتبارى فى التنقيب عن اللغة الفصحى من مظانها ، ولهذا لازم شيوخه – ثعلب والمبرد وغيرهما – يأخذ عنهم اللغة والنحو والقرآن الكريم والتفسير ورواية الأشعار والأخبار والأدب مشافهة متقناً لكل هذه العلوم.

ولعل حب العلم كان من أبرز صفات الزَّجَّاج الذى عشق هذا المضمار منذ نعومة أظفاره ، من أجل هذا لازم المبرد وغيره من العلماء.

وقد أتقن علم النحو إتقاناً ملحوظاً ، ويبدو أنه درس كتاب سيبويه واعتمد عليه ، كثيراً فى كتابه "ما ينصرف ومالا ينصرف" حيث نقل عنه كثيراً ، كما أنه تفوق فى تفسير القرآن الكريم تفوقاً ملحوظاً ، وهذا واضح فى كتابه معانى القرآن وإعرابه ، وإذا كان الزَّجَّاج لم يدرس قراءات القرآن الكريم ، فيكفيه أنه ألم بقراءات اللغويين الشاذة ،

obeikan.com

ولهذا نجده يتردد فى غير موضع ، فيقول يجوز فى هذه الآية كذا وكذا إن كان قرئ به ، أو هذا ما تجيزه اللغة ، ولا تقرأن به حتى تثبت رواية صحيحة أو قرىء به [١]

فالزَّجَّاج له شخصيته وتصويباته فى اللغة ، فقد تحاشى كثيراً من أخطاء أبى عبيدة ، ولم يجاريه فى لغوياته التى انفرد بها ، ورَدَّ آراءه الخاطئة وفندها ومن أمثلة ذلك قوله: "قال أبو عبيدة : "ليسوا سواء جَمْعُ ليس ، وهو متقدم ، قال أبو عبيدة العرب تجوز فى كلامهم مثل هذا أن يقولوا: "أكلنى البراغيث " قال أبوعبيدة : سمعتها من أبى عمرو الهذلى.. وفى القرآن الكريم "عموا وصموا كثير منهم"[٢] وكان وجه الكلام أن يقول "أكلنى البراغيث" وفى القرآن "عموا وصموا كثير منهم"[٣]

---

[١]- الزَّجَّاج ، معانى القرآن وإعرابه ، ج١ ص ٤٥٨.

[٢]- سورة المائدة : آية ٧١.

[٣]- سورة المائدة : آية ٧١.

وقد يجوز أن نجعله كلامين ، فكأنك قلت: "ليسوا سواء من أهل الكتاب"[١] ثم قلت أمة قائمة" [٢]

قال الزَّجَّاج: "وهذا ليس كما قال لأنه ذكر أهل الكتاب قد جرى ، فأخبر الله أنهم غير متساوين ، فقال ليسوا سواء، ثم أنبأ بافتراقهم ، فقال "من أهل الكتاب أمة قائمة"[٣] قال أهل اللغة معنى قائمة مستقيمة ، ولم يبينوا حقيقة هذا .. فالمعنى والله أعلم ، من أهل الكتاب أمة قائمة أى ذو طريقة قائمة [٤].

ونستنتج مما سبق أن الزَّجَّاج عالم متمكن فى علمه يخطئ أبى عبيدة فى بعض المسائل ، ذاكراً الدليل على صحة ما يقول.

---

[١]- سورة آل عمران : آية ١١٣.

[٢]- أبو عبيدة ، مجاز القرآن : ج١ ص ١٠١ وما بعدها.

[٣]- الزَّجَّاج ، معانى القرآن وإعرابه : ج١ ص٤٥٨.

[٤]- المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

وقد أخذ بعض المآخذ على النحاة ، منها – مثلاً– قوله: ولم يشرحوا لِمَ كسرت همزة "أولاء" وأولاء أصلها السكون ، لأنها للإشارة ، ولكن الهمزة كسرت لسكونها ، وسكون الألف [١] ومعنى هذا أنه يشرح ما فات النحاة فى بعض المسائل على نحو ما تقدم.

ثانياً مكانته العلمية :

لا شك أن الزَّجَّاج كان ذا مكانة علمية مميزة ، ولا غرابة فى ذلك فإنَّ تلمذته على جلة من الشيوخ فى العلم والأدب وملازمته لمن تبوأ الصدارة منهم إلى جانب ما كان يتحلى به من رجاحة العقل ، ودماثة الخلق ، والتزم جادة الصواب فى الحياة ، وطلب العلم ، وحرص على الدرس والتحصيل ، كل هذه الصفات ، جعلته خليقا أن يتبوأ مكانة علمية ظاهرة بين أقرانه من علماء عصره ، ولا شك ان انقطاع الزَّجَّاج لدراسة اللغة والنحو والفقه والتفسير على يد شيخه ثعلب فى الكوفة تارة ، ودراسته على يد المبرد فى

[١]– المصدر السابق : ج١ ص ٤٦٣.

البصرة تارة أخرى كانت من أقوى الأسباب التى أهلته لكى يحظى بمكانة علمية رفيعة ، ودليلنا على عظم قدره ، وعلو كعبه فى اللغة والنحو والتفسير أنه ألف كتابى "معانى القرآن وإعرابه" و "ما ينصرف وما لا ينصرف" وغيرهما.

والزَّجَّاج- وهو من هو- يجمع بين مذهبى الكوفة والبصرة فى النحو ولا يقوم بهذا العمل إلا من أتقن المذهبين ، وعرف الأصول التى تبنى عليها العلل والمقاييس عند المدرستين.

ونحن نعلم أن الزَّجَّاج درس النحو الكوفى على يد ثعلب إمام الكوفيين فقد دأب فى تحصيل المعرفة وانقطع إليها ، حتى وصل إلى حد قال فيه عن نفسه : "كنت فى ابتداء أمرى قد نظرت فى علم الكوفيين وانقطعت إليه ، فاستكثرت منه حتى وقع لى أنى لم أترك منه شيئاً"[١] وظل الزَّجَّاج هكذا ملازماً لثعلب يستفيد منه ، حتى وفد المبرد

[١]- مجالس العلماء : ص ١٦٤.

على بغداد ، واتخذ له حلقة فى المسجد ، فانتقل الزَّجَّاج إلى حلقة المبرد وترك ثعلب" [١] وقد بينا سبب ملازمته للمبرد.

وبعد موت أستاذه المبرد تقدم الزَّجَّاج لرياسة النحو البصرى خلفاً له ، فقد كان أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه، "وكان من يُرِدْ أن يقرأ على المبرد يُعْرض عليه أولا ما يريد أن يقرأه " [٢] .

والدليل على علو مكانته أن شيخه المبرد حينما طُلب منه معلم نحوى لبعض بنى مارقة من الصراة أحاله عليه"[٣]

وحينما طلب منه مؤدب للقاسم ابن الخليفة المعتضد قصر معرفته على الزَّجَّاج" [٤] وحينما طلب المعتضد مَنْ يفسر كتاب جامع المنطق أحاله المبرد على الزَّجَّاج [٥].

---

[١]- المصدر السابق : الصفحة نفسها.

[٢]- الفهرست : ص ٩٦.

[٣]- تاريخ بغداد : ج٦ ص ٩٠.

[٤]- نزهة الألباء : ص ٣١٠.

[٥]- معجم الأدباء: ج١ ص ١٣٧.

وقال أبو الحسن بن كيسان "ت ٢٩٩هـ" لمبرمان عندما أراد قراءة سيبويه عليه: اذهب إلى أهله يشير إلى الزَّجَّاج "[١]

وقال عنه أبو البركات الأنبارى "ت ٥٧٧هـ": "فإنه من أكابر أهل العربية.. وكان صاحب اختيار فى علمى النحو والعروض"[٢]

وقال عنه الأزهرى "ت ٣٧٠هـ" صاحب كتاب المعانى فى القرآن حَضَرْتُهُ ببغداد بعد فراغه من إملاء الكتاب ، فألفيت عنده جماعة يسمعونه منه ، وكان متقدماً فى صناعته ، بارعاً صدوقاً ، حافظاً لمذهب البصريين فى النحو ومقاييسه" [٣]

ونخلص من كل ما سبق أن الزَّجَّاج كان إماماً من أئمة النحو والتفسير وشيخاً عظيماً من شيوخ العربية. ودليلنا

---

[١]- طبقات النحويين واللغويين: ص ١٧١ ونزهة الألباء: ص ٢٤٤.

[٢]- إنباه الرواة: ج٢ ص ٥٩ ، وطبقات النحويين واللغويين: ص ١٥٣.

[٣]- اللباب فى تهذيب الأنساب: ج٢ ص ٦٢.

obeikan.com

على ذلك معالجته للكثير من قضايا اللغة المعضلة ، ومسائلها المشكلة ، ومناقشته لفحول العلماء كالمبرد وثعلب وغيرهما تشير بوضوح إلى تمكنه ورسوخ قدمه فى هذا الميدان.

ثالثا مناظرته مع معاصريه :

نحن نعلم المناظرة المشهورة التى كانت بين إمام العربية سيبويه والكسائى ، تلك التى لم يكن الغرض منها إلا القضاء على سيبويه حتى ليقال إن الأعراب الذين حكموا للفصل فى هذه الخصومة لم يقولوا شيئا سوى أن قالوا الحق ما قال الكسائى [١].

والذى بدا لى من هذه المناظرة وغيرها نيل الشهرة والتغلب على الخصم من أجل الحصول على الرزق والثراء

---

[١]- هذه المناظرة اختلف فيها الكسائى وسيبويه حول قولهم "كنت أظن أن العقرب أشد لدغة من الزنبور ، فإذا هو هى أو هو إياها" قال سيبويه فإذا هو هى بالرفع ، وقال الكسائى "فإذا هو إياها" بالنصب" انظر هذه المناظرة فى المعجم الوسيط، مادة زنبر: ج١ ص٤١٦ ، ود: محمود ياقوت ، معاجم الموضوعات ، ص٤٧ ، فالخلاف يدور حول إذا الفجائية والرفع بعدها أو النصب ، فسيبويه يرى الرفع على اعتبار أن هو: مبتدأ ، وهى خبر ، أما الكسائى فيرى النصب على المفعولية ، انظر كتاب سيبويه: ج١ ص١٧، ومجالس ثعلب ص٩ وما بعدها.

ولمَّا قتل المتوكل سنة ٢٤٧ هجرية رحل المبرد إلى بغداد ، فقدم بلداً لا عهد له بأهله ، فاختل وأدركته الحاجة، فتوخى شهود صلاة الجمعة ، فلما قضيت الصلاة أقبل على بعض من حضره وسأله أن يفاتحه السؤال ليتسبب له القول، فلم يكن عنده من حضره علم ، فلما رأى ذلك رفع صوته وطفق يفسر ، يؤهم بذلك أنه قد سئل ، فصارت حوله حلقة عظيمة ، فتشوف أحمد بن يحيى ثعلب إلى الحلقة ، وكان كثيراً ما يرد الجامع قوم خُرَاسَانيون من ذى النظر فيتكلمون ويجتمع الناس حولهم ، فإذا أبصرهم ثعلب أرسل من تلاميذه من يفاتشهم ، فإذا انقطعوا عن الجواب انفض الناس عنهم. فلما نظر ثعلب إلى من حول أبى العباس المبرد أمر الزَّجَّاج وابن الخياط بالنهوض إليه ، وقال لهم: فضوا حلقة هذا الرجل ، ونهض معهما من حضر من أصحابه ، فلما صاروا بين يديه قال له الزَّجَّاج : أتأذن -أعزك الله- فى المفاتشة؟ فقال له المبرد: سل عما أحببت، فسأله عن مسألة فأجابه فيها بجواب أقنعه ، فنظر الزَّجَّاج فى وجوه أصحابه متعجباً من تجويد أبى العباس للجواب ،

ثم سأله عن أخرى وأخرى ، حتى بلغت مسائله عشرة ، وهو يجيب عن كل واحدة منها بما فعله فى المسألة الأولى. فلما رأى ذلك الزَّجَّاج ، قال لأصحابه: عودوا إلى الشيخ فلست مفارقاً هذا الرجل ، ولابد من ملازمته والأخذ عنه ، فعاتبه أصحابه وقالوا له: تأخذ عن مجهول لا تعرف اسمه، وتدع من قد شُهر علمه ، وانتشر فى الآفاق ذكره؟ فقال لهم: لست أقول بالذكر والخمول ، ولكنى أقول بالعلم والنظر [١] فسأله عن مسألة ثانية ففعل المبرد ما فعله فى المسألة الأولى حتى سأله أربع عشرة مسألة ، يجيب عن كل واحدة منها بما يقنع ، ثم يفسد الجواب ، ثم يعود إلى تصحيح القول الأول[٢].

وحين نمعن النظر فى هذه الرواية يتبين لنا أن ثعلبا ضاق لقدوم المبرد إلى بغداد لأنه نازعه مكانته العلمية ، ثم ازداد استياءً أن من تلاميذه من تحول من مجلسه إلى

١- طبقات النحويين واللغويين : ص ١١٨ وما بعدها.

٢- المصدر السابق : الصفحة نفسها وما بعدها.

مجلس المبرد ، أعنى بذلك الزَّجَّاج ، وذلك لغزارة علم المبرد ، ورده على أسئلته رداً مقنعاً.

ومما يدعم هذا الكلام ويقويه أنا أبا على الدنيورى ختن ثعلب كان يخرج من بيته ومعه محبرته ليقرأ كتاب سيبويه على المبرد ، وكان ذلك يغيظ ثعلباً ، وكان يعاتب أبا على ، فلا يلتفت إليه ، إذ كان يرى المبرد أعلم بكتاب سيبويه من ثعلب ، لأن المبرد قرأه على علماء قد درسوه ، أما ثعلب فعرف الكتاب من قراءته الخاصة [1]. ومن ثم نلحظ أن المبرد بَهَتَهُم بسعة علمه ، وقدرته على الجدل والمناظرة بالدليل القاطع فتحول الزَّجَّاج إليه ، وترك مجلس ثعلب.

وبناء على هذا فإن الزَّجَّاج قد تناظر مع معاصريه ، وعلى رأسهم شيخ المدرسة البصرية فى النحو وغيره سواء أكانوا من المشهورين أم من غيرهم الذين يدسون عليه ، وجاءت ردوده عليهم واضحة لا غموض فيها ، كما كانت

[1]- إنباه الرواة : ج١ ص ١٤٥ ، ومعجم الأدباء : ج١٩ ص ١١٨.

إجابته محددة لا يعتمد على الإسهاب فيها ، وسرد ما يمكن الاستغناء عنه.

وفيما يلى بيان إحصائى بمن التقى بهم على بساط البحث والمناظرة والمناقشة مرتباً ترتيباً هجائياً بحسب أسمائهم.

١- مناظرته مع ثعلب فى مجلس أبى عمر الزاهد (غلام ثعلب) دارت المناظرة حول اشتقاق الخُرَّاتين [١] .

٢- مناظراته مع ثعلب وأبى موسى الحامض[٢] فى مجلس ثعلب عندما دخل أبو إسحاق ليعوده فى مرضه، وقد رد فيه الزَّجَّاج ألفاظاً على ثعلب أوردها فى الفصيح[٣] .

٣- مناظراته مع جماعة دارت حول تصغير لفظة (المَهْوَأن) من قول رؤبة [٤] :

---

[١]- مجالس العلماء : ص ١٣٦ ، والخراتين : كوكبان.

[٢]- هو سليمان بن محمد بن أحمد الحامض تلميذ ثعلب ت: ٣٠٥هـ، انظر ترجمته فى طبقات النحويين واللغويين: ص١٥٢ ، وإنباه الرواة ج٢ص٢١ ، والفهرست ص١١٧

[٣]-الأشباه والنظائر : ج٢ص١٦٢، وإنباه الرواة: ج٣ص١٤١، ومعجم الأدباء: ج١ص١٣٧

[٤]- ديوان رؤبة: ص٩٣، وانظر كذلك ، مجالس العلماء:ص٢٩٦، والمهوأن: الواسع من الأرض البعيد .

قد طرت ليلى بليل هاجعا

تطوى إلينا مَهْوَأنا واسعا

٤- مناظراته مع ابن الخياط محمد بن أحمد بن منصور[١] فى مجلس ثعلب نفسه ، ودارت المناظرة حول عدة أسئلة منها" [٢].

كيف نقول خمستكم بينكم درهم ؟

وكيف تبنى مثل جر دحل من قويت؟

وكيف تبنى مثل فعل من قويت ؟

وكيف تبنى مثل عثول من قويت؟

٥- مناظراته مع رجل غريب دسه عليه أبو موسى الحامض فى المسجد بعد صلاة الجمعة ، سأله الرجل عن جمع هبى وهبية [٣].

١- انظر ترجمته فى طبقات النحويين واللغويين: ص١٧، وإنباه الرواة: ج٣ ص٥٤ ، ونزهة الألباء : ص ٢٤٧ ، والفهرست : ص ١٢١.

٢- مجالس العلماء : ص١٢٧ ، وإنباه الرواة : ج٣ ص٥٤ ، والفهرست : ص١٢١، ونزهة الألباء : ص ٢٤٧.

٣- الهبى والهبية: الصبى والصبية، انظر مجالس العلماء للزجاجى، ص٢٣٦ مجلس رقم "١٤١"

٦- مناظراته مع المبرد ، وقد أشرنا إلى هذه المناظرة عندما دفعه ثعلب لفض حقة المبرد ، وكانت هى سبب ملازمة الزجاج له ، وقد دارت حول ناصب زيد فى "ما أحسن زيدَاَ" [١] .

٧- مناظراته مع هارون بن الحائك المتوفى سنة ٢٩٢هـ[٢] فى مجلس عبدالله بن سليمان ، وبتدبيرٍ منه ، ودارت حول قولهم "ضربت زيداً ضرباً " [٣].

رابعاً : ثراء الزَّجَّاج وتعليمه لبنى مارقة وتأديبه للقاسم ابن وزير المعتضد عبيد الله :

أشرنا من قبل أن الزَّجَّاج كانت مهنته صناعة الزُّجَاج، وأنه عندما أراد أن يتعلم النحو ذهب إلى المبرد ، واشترط معه أن يعطيه درهما كل يوم حتى الموت ، وظل

---

[١]- مجالس العلماء: ص ٥٥، ونزهة الألباء: ص ٢٢٥.

[٢]- انظر ترجمته فى نزهة الألباء: ص ٣٢ وطبقات النحويين واللغويين: ص ١٥١، وإنباه الرواة: ج٣ ص ٣٦٠، وبغية الوعاه: ج٢ ص ٢٣٠.

[٣]- إنباه الرواة : ج٣ ص ٢٦٠، وطبقات النحويين واللغويين: ص ١٥١.

الزَّجَّاج يدفع له الأجر باستمرار ، وهو بهذا عاش عيشة ضنكة ضئيلة. ثم ما كان من أسباب ثرائه أن بعض بنى مارقة من الصراة [١] وهم قبيلة عربية كانت تسكن بالعراق قريباً من نهر الصراة ببغداد – كانوا فى حاجة إلى معلم لأولادهم ، ذهبوا إلى المبرد يلتمسون معلما نحويا لأولادهم ، وكان المبرد من المعلمين الذين لهم شهرة ، وله تلاميذ يحسنون القيام بهذا العمل ، فقال الزَّجَّاج للمبرد ، أسمنى لهم ، فأسمانى ، فخرجت ، فكنت أُعَلِمُهُم ، وأنفذُ إليه فى كل شهر ثلاثين درهما ، ومضت مدةٌ على ذلك فطلب منه عبيد الله بن سليمان [٢] مؤدباً لابنه القاسم [٣] فقال لا أعرف إلا رجلا زجاجا بالصراة مع بنى مارقة. قال: فكتب إليهم

١- الصراة : نهر يأخذ من نهر عيسى عند بلدة يقال لها المحول، بينها وبين بغداد فرسخ، انظر معجم البلدان مادة صراة.

٢- هو عبد الله بن سليمان بن وهب وزير المعتضد المتوفى سنة ٢٨٧هـ ، انظر ترجمته فى البداية والنهاية : ج١١ ص ٨٥.

٣- القاسم : تولى الوزارة بعد وفاة أبيه ، وهو سبب غنى الزَّجَّاج ، انظر ترجمته فى البداية والنهاية : ج١١ ص ٨٥.

عبيد الله ، فاستنزلهم عنى ، فتركونى فأحضرنى ، وأسلم القاسم إِلَيَّ فكان ذلك سبب غنائى [١].

ويقول عن نفسه: إن بلغك الله مبلغ أبيك ، ووليت الوزارة ، ماذا تصنع بى؟ فيقول: ما أجبت ، فأقول له: تعطنى عشرين ألف دينار ، وكانت غاية أمنيتى فما مضت إلا سنون حتى ولى القاسم الوزارة ، وأنا على ملازمتى له، وقد صرت نديمه ، فدعتنى نفسى إلى إذكاره بالوعد ، ثم هبته فلما كان اليوم الثالث من وزارته ، قال لى: يا أبا إسحاق لم أرك أذكرتنى بالنذر ! قلت: عولت على رعاية الوزير أيده الله وأنه لا يحتاج إلى إذكاره لنذر عليه فى أمر خادم واجب الحق ، فقال لى: إنه المعتضد ولولاه ما تعاظمنى دَفْعِ ذلك إليك فى مكان واحد ، ولكن أخاف أن يصير لى معه حديث ، فاسمح لى بأخذه متفرقاً ، فقلت يا سيدى افعل ، فقال اجلس للناس ، وخذ رقاعهم فى الحوائج الكبار ، واستعجل عيها ، ولا تمنع من سألنى شيئاً تخاطب

[١]- تاريخ بغداد : ج٦ ص ٩٠ ، ونزهة الألباء : ص ٢٢٤.

فيه .. ففعلت ذلك وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعا فَيُوَقِّعُ فيه.. وعرضت عليه شيئاً عظيما ،فحصلت عندى عشرون ألف دينار ، وأكثر منها فى مديدة . فقال لى بعد شهور يا أبا إسحاق هل حصل مال النذر ؟ فقلت: لا ، فسكت ، وكنت أعرض فيسألنى فى كل شهر ، أو نحوه ، هل حصل مال النذر؟ فأقول: لا ، خوفا من انقطاع الكسب.. وسألنى يوما فاستحييت من الكذب المتصل ، فقلت : قد حصل ذلك ببركة الوزير فقال: فَرَّجْتَ والله عنى.. ثم أخذت الدواة ، ووَقَّعَ لى إلى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها وامتنعت أن أعرض عليه شيئا ، فلما كان من غد ، جئته على رسمى فأومأ إِلَيَّ هات ما معك .. فقلت: ما أخذت من أحد رقعة ، لأن النذر قد وقع الوفاء به.. فقال يا سبحان الله، أترانى كنت أقطع عنك شيئا صار لك عادة .. فقبلت يده ، وباكرته من غد بالرقاع ، فكنت أعرض عليه كل يوم شيئا إلى أن مات ، وقد تأثلت حالى هذه [١].

[١]- تاريخ بغداد: ج٦ص٩٠:٩٢، ومعجم الأدباء: ج١ص١٣٢ ، وإنباه الرواة: ج١ ص١٦٠

من خلال هاتين الروايتين يتبين لنا أن الزَّجَّاج علم أولاد بنى مارقة ، مقابل إعطائه ثلاثين درهما كل شهر ، وأنه أدب القاسم بن عبيد الله ونال حظوة عند والده ، ومن ثم كان هذا سبب غناه.

والذى بدا لى أن المبرد عندما أحس بنبوغ تلميذه الزَّجَّاج رشحه لتعليم بنى مارقة ، والقاسم بن الوزير عبيد الله بن سليمان وتأديبه. ولا نظن أن السبب المادى صاحب تأثير كبير فى ترشيحه لهم ، بل سبب ذلك تفوقه فى العلم، بدليل أننا وجدنا شيخه الأول ثعلبا اختاره من بين تلاميذه وأرسله ليبهت المبرد ويفض حلقته .

خامسا أشعاره:

حفظت لنا المصادر التى ترجمت للزَّجَّاج أبياتاً له ، منها ما أورده ياقوت فى إملاء النجيرمى أنشدنى أبو إسحاق وهى له [١]

[١]- معجم الأدباء : ج١ ص ٢٠١.

بدلنى الدهرُ أميراً مِغْوراً ∴ بسيد كان خِضَمَّاً كوثرا
إذا شَمَمَتُ كَفَّة مؤمّـــلاً ∴ شممت منها عَمْرًا مُقْتَرا
بما أشمُّ مسكها والعنبـــرا ∴ يا بَدَلاً كـــان اللقاءأعْوَرا

وقال ابن بشران" ت٤٦٢هـــ" وأنشدت له ، أى أنـــشد الزَّجَّاج له [١] .

قعودى لا يَرُدُّ الرزق عنى ∴ ولا يُدْنيه إن لم يُقْض شئٌ
قعدتُ فقد أتانى فى قعودى ∴ وسرتُ فعافنى والسيرلـــى
فلما رأيت القصد أدنـــى ∴ إلى رشد وأن الحرص عِىٌّ
تركتُ لمديحٍ دَلَجَ الليالـــى ∴ ولى ظلُ أعيش بـــه وَفِـــىٌّ

يضاف إلى هذه الأبيات بيتُ واحـــد أورده الخطيـــب البغدادى "ت ٤٦٣هـــ" رواه عن أبى محمد الوراق ، قـــال: كنتُ بشارع الأنبار ، وأَنَا صبى فى يوم نيروز، فعبر رجل راكب ، فبادر بعض الصبيان ، فقلب عليه مـــاءً ، فأنـــشد يقول وهو يَنْفُضُ رداءه من الماء:

---

[١]- طبقات النحاة واللغويين : ج١ ص ١٤٢ ومعجم الأدباء : ج١ ص ١٤٧.

إذا قل ماءُ الوجه قل حياؤهُ ∴ ولا خير فى وجهٍ إذا قل ماؤه

فلما عبر ، قيل لنا : هذا أبو إسحاق الزَّجَّاج [١]

وحين نمعن النظر فى هذه الأبيات نلحظ أنها من شعر الحكمة ، وهذا يتفق مع روعه وخوفه من الله.

ويروى أنه اختصم مرة مع رجل يدعى مُسَيْنة ، فشتمه الزَّجَّاج وسَبَّه ، فكتب إليه مُسَيْنة بهذه الأبيات [٢]:

أبى الزَّجَّاج إلا شَتْم عِرْضى ∴ لينفعه فَأَثَّمَهُ وضَرَّهُ

أقسم صادقاً ما كان حُرًا ∴ ليطلق لفظه فى شتم حُرَّه

ولو أنى كررت لفرَّ منى ∴ ولكن للمنُون علىَّ كرّه

فأصبح قد وقاه الله شرًا ∴ ليوم لا وقاه الله شَرَّه

فلما اتصل هذا الشعر بالزَّجَّاج قصده راجلاً واعتذر إليه ، وسأله أن يعفو عنه ويسامحه. والذى بد لى أن

---

[١]- تاريخ بغداد: ج٦ ص ٩٣ ، ونزهة الألباء : ص٢٤٥ ، وإنباه الرواة : ج١ ص١٦٣.

[٢]- انظر هذه القصة فى إنباه الرواة : ص١٦٤ وما بعدها ، وتاريخ بغداد : ج٦ ص١٩٠ وما بعدها

الزَّجَّاج خاف من الله فأسرع بالاعتذار ، ذلك أن الاعتذار والرجوع إلى الحق فضيلة ، وهذا يدل على خوفه وورعه.

سادسا منادمته للمعتضد :

نحن نعلم أن الزَّجَّاج أبرز تلاميذ المبرد ، وإليه انتهت رياسة النحو البصرى ، وفى هذا الوقت كان المبرد قد كبُر وأسن وضعف جسمه أيام الخليفة المعتضد [١] فارتفع الزَّجَّاج وصار مع المعتضد يعلم أولاده ، وكان سبب اتصاله بالمعتضد أن بعض الندماء وصف للمعتضد كتاب جامع المنطق الذى عمله محبرة النديم [٢] وجعل كتابه جداول ، فأمر المعتضد القاسم بن عبيد الله أن يطلب من يفسر تلك الجداول ، وكتب إلى المبرد أن يفسرها فأجابهم بأنه كتاب طويل يحتاج إلى شغل وتعب ، وأنه قد أسن وضعف عند ذلك ، فإن دفعتموناه إلى صاحبى إبراهيم بن

---

[١]- الخليفة المعتضد: هو طلحة بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد توفى سنة ٢٨٨هـ، انظر ترجمته فى البداية والنهاية : ج١١ ص ٨٦.

[٢]- محبرة النديم، هو محمد بن يحيى بن أبى عباد العكسرى اللغوى، انظر ترجمته فى إنباه الرواة: ج٢ ص٢٢٢

السرى رجوت أن يفى بذلك ... ففعل القاسم ، قال الزَّجَّاج: أنا أعمل ذلك .. وكتبه .. وحمله الوزير إلى المعتضد فاستحسنه ، وأمر له بثلاثمائة دينار .. وصار للزَّجَّاج بهذا السبب منزلة عظيمة ، وجُعل له رزق فى الندماء ورزق فى الفقهاء ، ورزق فى العلماء [١].

ونستنتج مما سبق أن كثرة علم الزَّجَّاج وغزارته هى التى جعلت شيخه المبرد يرشحه للخليفة المعتضد كى يفسر له كتاب جامع المنطق.

سابعا تلاميذه :

تكاملت أسباب العلم للزَّجَّاج ، فتصدر للدرس والإفادة وأخذ الناس يختلفون إليه من جميع الطبقات ، من الأحداث ووجوه القوم ، وطلاب العلم ، ينلهون من علمه ومعارفه ، وذلك لما كان يتمتع به من الثقة فى دينه وعلمه ومن الصحة فى أدبه ، وهؤلاء التلاميذ الذين تتلمذوا على يد

[١]- معجم الأدباء : ج١ ص١٤٩ ، وإنباه الرواة : ج١ ص١٦٤ ، والفهرست ص ٩٠.

الزَّجَّاج علماء أفذاذ شهدوا له بنبوغه فى العلم ، نذكرهم فى قائمة هجائية على الوجه الآتى:

١- **إبراهيم بن عبد الله البغدادى النجيرمى** ، وكنيته أبو إسحاق ، انظر فى: معجم الأدباء: ج١ ص ١٩٨، وإنباه الرواة: ج١ ص ١٧٠، وبغية الوعاة : ج١ ص ٤١٤.

٢- **أحمد بن محمد أحمد العروضى** ، وكنيته أبو الحسن ، المتوفى سنة ٣٤٢هـ انظر ترجمته فى إنباه الرواة: ج١ ص١٢٨، ومعجم الأدباء: ج٤ ص٢٣٣ ، وتاريخ بغداد: ج٥ ص ١٤٠.

٣- **أحمد بن محمد بن إسماعيل الصفار** ، المعروف بابن النحاس ، وكنيته أبو جعفر ، المتوفى سنة ٣٣٧هـ، انظر ترجمته فى إنباه الرواة: ج١ ص١٠١ ، ونزهة الألباء: ص٣٩١ ، وطبقات النحويين واللغويين: ص٢٢٠، وتاريخ العلماء : ٣٣.

٤- **أحمد بن محمد بن الوليد المعروف بابن ولاء المصرى**، وكنيته أبو العباس ، المتوفى سنة ٣٣٢هـ، انظر

ترجمته فى إنباه الرواة ، ج١ ص٩٩، ومعجم الأدبـــاء: ج٤ ص٢٠١ ، وطبقات الزبيـــدى: ص٢١٩، وتـــاريخ العلماء: ص ٣٧.

٥- **إسماعيل بن القاسم القالى البغدادى** ، وكنيته أبو على، المتوفى سنة ٣٥٦هـــ انظر ترجمته فى: إنباه الـــرواة : ج١ ص ٢٠٨، وطبقات النحويين واللغـــويين: ص٢١، وص ١٨٧، ومعجم الأدباء : ج٧ ص ٢٥، وص ٢٧.

٦- **الحسن بن أحمد بن الغفار الفارسى** ، وكنيته أبو على، المتوفى سنة ٣٧٧هـــ انظر ترجمته فى طبقات القـــراء: ج١ ص٢٠٧، وطبقات النحـــويين واللغـــويين: ص٢٧، ومعجـــم الأدبـــاء: ج١ ص١٣٠، وإنبـــاه الـــرواة: ج١ ص١٦٣، وص٢٧٣، ونزهـــــة الألبـــــاء: ص ٣١٥، والفهرست: ص ٩٥ ، وتاريخ بغداد: ج٦ ص٩٢.

٧- **الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى** ، وكنيه أبـــو القاســـم ، المتوفى سنة ٣٧٠هـــ ، انظر ترجمته فى: إنباه الرواة: ج١

ص٢٨٥ وص٢٨٨ ، ومعجم الأدباء: ج٨ ص٧٥ وص٧٨، وبغية الوعاة : ج١ ص٥٠٠ ، والفهرست: ص٢٢١.

٨- **الحسن بن عبد الله الأصبهانى** ، المعروف بلكلذة أو لغدة ، وكنيته أبو على ، انظر ترجمته فى : إنباه الرواة: ج٣ ص٤٣ ، ومعجم الأدباء : ج٨ ص١٣٩ وما بعدها ، وبغية الوعاة : ج١ ص٥٠٩ ، والفهرست: ص ١٢٠.

٩- **الحسن بن عبد الله السيرافى ، وكنيته أبو سعيد** ، المتوفى سنة ٣٦٨هـ ، انظر ترجمته فى: الفهرست: ص٩٣، وطبقات النحويين واللغويين: ص١١٩، وتاريخ العلماء ، ص ٢٨، ونزهة الألباء : ص ٣٠٧.

١٠- **عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَّاجى** ، وكنيته أبو القاسم، المتوفى سنة ٣٣٧هـ ، انظر ترجمته فى: إنباه الرواة: ج٢ ص١٦٠، ووفيات الأعيان : ج١ ص٥٠ ، وطبقات النحويين: ص ١١٩ ، والبداية والنهاية: ج١١، ص ١٤٩ ، والفهرست: ص ١١٨ ، ونزهة الألباء:

ص٣٠٦، وهو من أشهر تلاميذه حتى نسب إليه لملازمته له ، وأخذه عنه.

١١- **عبد الله بن جعفر بن درستويه** ، وكنيته أبو محمد ، المتوفى سنة ٣٤٧هـ ، انظر ترجمته في: نزهة الألباء: ص٢٤٤ ، وص٣٨٣ ، وطبقات النحويين واللغويين ص١١٦ ، وتاريخ بغداد: ج٦ ص ٩٠.

١٢- **على بن عيسى الرُّمَانى** ، وكنيته أبو الحسن، المتوفى سنة ٣٨٤هـ ، انظر ترجته فى: نزهة الألباء: ص ٣١٨ والفهرست: ص٦ وتاريخ العلماء: ص٣٠.

١٣- **أبو الفهد البصرى** ، انظر ترجمته فى: إنباه الرواة: ج٤ ص١٢٥، وطبقات النحويين واللغويين: ص ١١٩، والفهرست: ص١٢٦، وبغية الوعاة: ج٢ ص ٢٤٩.

١٤- **محمد بن أحمد المعمرى** ، وكنيته أبو العباس ، المتوفى سنة ٣٥٠هـ ، انظر ترجمته فى: بغية الوعاة: ج١ ص٥٠، و معجم الأدباء: ج١٧ ص١٧٤.

obeikan.com

١٥- **محمد بن إسحاق بن أسباط المصرى** ، وكنيته أبو النصر ، انظر ترجمته فى: إنباه الرواة: ج٣ ص ٦٨، وطبقات النحويين واللغويين: ص٢٢١، وتاريخ العلماء: ص٣٢١ ، ومعجم الأدباء ، ج١٨ ص ١٤.

١٦- **محمد بن جعفر محمد الهمذانى المراغى** ، وكنيته أبو الفتح ، المتوفى سنة ٣٧١هـ ، انظر ترجمته فى: إنباه الرواة : ج٢ ص٨٣ ، والفهرست: ص١٢٧، وتاريخ بغداد ، ج٢ ص ١٥٢.

١٧- **محمد بن السرى المعروف بابن السراج** ، وكنيته أبو بكر، المتوفى سنة ٣٢٢هـ ، انظر ترجمته فى: إنباه الرواة : ج٣ ص ١٤٥ ، وطبقات النحويين واللغويين: ص ١١٢ ، والفهرست ص٩٢ ، ومعجم الأدباء : ج١٨ ص ١٩٧ ، وتاريخ العلماء : ص ٤٠.

١٨- **محمد بن سعيد البصير الموصلى** ، وكنيته أبو جعفر ، انظر ترجمته فى: معجم الأدباء: ج١٨ ص ٢٠٣ ، وبغية الوعاة : ج١ ص ١١٤.

openkan.com

١٩- **محمد بن على المعروف بـ (مبرمان)** وكنيته أبو بكر، المتوفى سنة ٣٤٦هـ ، انظر ترجمته فى: طبقات النحويين واللغويين ، ص١١٤ ، وبغية الوعاة: ج١ ص١٧٩ ، والفهرست : ص٨٩ ، وتاريخ العلماء: ص٤٩

٢٠- **محمد بن على المراغى** ، وكنيته أبو عبد الله، انظر ترجمته فى : إنباه الرواة : ج٣ ص١٩٧ ، ونزهة الألباء : ص٣١٣ ، وبغية الوعاة : ج١ ص٢٠٦.

obeikan.com

المبحث الثالث

آثاره ومؤلفاته

obeikan.com

obeikan.com

آثاره ومؤلفاته

قيمة كل امرىء تقدر بما يضيفه للفكـــر الإنـــسانى ، ولقد ذكرنا آنفا ونحن نتحدث عن ثقافة الزَّجَّاج أنه انكـــب على العلوم بمختلف أنواعها فهما ودرساً وتحصيلاً، ومن ثم أنتجت قريحته مجموعة من المؤلفات العلميـــة فـــى اللغـــة والنحو والحديث والتفسير والفقه والشعر ، كلها تهدف إلـــى التعليم والإفادة ، وكلها مؤلفات نفيسة أثرى بهـــا المكتبـــة العربية ، إلا أنها لم تسلم من حوادث الأيام وعوادى الزمن، فما بقى إلا القليل النفيس.

ويكفى أن نشير إلى هذه المؤلفات موردين نبذة يسيرة عن كل مؤلف ألفه الزَّجَّاج بقدر ما يتسع له المقام وبحسب قيمته العلمية على الوجه التالى:

١- معانى القرآن وإعرابه

وواضح من عنوانه أن يذكر معانى القـــرآن الكـــريم ويفسر آياته ، وهو أشهر كتبه حتى عرف بصاحب كتـــاب

المعانى ، يقول الأزهرى صاحب كتاب المعانى فى القرآن حضرته ببغداد بعد فراغه من إملاء الكتاب ، فألفيت عنده جماعة يسمعونه منه ، وكان متقدما فى صناعته [١] .

والاسم الكامل لهذا الكتاب هو " معانى القرآن وإعرابه" ، وقد ذكر الإعراب مع المعنى لأنه لا يمكن فهم آيات القرآن الكريم إلا من خلال معناها ، يقول: وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير لأن كتاب الله ينبغى أن يتبين، ألا ترى أن الله يقول: (أفلايتدبرونالقرآن) [٢] فحضضنا على التدبر والنظر ، ولكن لا ينبغى لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة أو ما يوافق نَقْلَه أهلُ العلم [٣].

وقد استغرق الزَّجَّاج فى تأليف هذا الكتاب نحو ستة عشر عاما ، بدأ يميله على تلاميذه سنة ٢٨٥هـ ، وانتهى منه سنة ٣٠١هـ ، أى قبل وفاته بنحو عشرة أعوام ، أملاه

---

[١]- اللباب فى تهذيب الإنساب : ج٢ص ٦٢.

[٢]- سورة النساء : آية/ ٨٢.

[٣]- معانى القرآن وإعرابه : ج١ ص ١٨٥.

وهو فى قمة نضجه الفكرى والعقلى ، وتمكنه اللغوى. ولم يذكر الزَّجَّاج سبب تأليفه لهذا الكتاب ، ولعله ألفه تقربًا لله وحبًا للعلم ، أو إجابة لرغبة بعض تلاميذه ، والدليل على ذلك قول الأزهر السابق.

أما منهج الزَّجَّاج فى تفسيره لآيات القرآن الكريم فإنه يورد الآية من كتاب الله عز وجل ، ثم يختار بعض الألفاظ ليشرحها على طريقته هو ، فيذكر أصل الكلمة ، ومشتقاتها اللغوية وإعرابها مستشهدًا على رأيه ببعض الشواهد الشعرية ، من ذلك – مثلا – قوله : وقول الله عز وجل (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ)[١] يقال: سفكت الدم أسفكه سفكا إذا صببته ورفع لا تسفكون على القسم ، وعلى حذف أن كما وصفنا فى قوله (لا تعبدون) ومثل حذف أن قول طرفة[٢]

ألا أيها الزاجرى أَحْضرَ الوغى .·. وأن أشهد اللذات هل أنت ملخدى

---

[١]– سورة البقرة : آية/ ٨٤.

[٢]– ورد هذا البيت فى ديوان طرفة : ص ٣٢ ، أمالى ابن الشجرى : ج١ ص ١٨٣.

الشاهد فيه: نصب الفعل (أَحْضِرَ) بعد حذف أن ، والمعنى : أن أحضر الوغى.

وواحد الدماء دم- يا هذا – مخفف ، وأصله دمى فى قول أكثر النحويين ، ودليل من قال إن أصله دمى قول الشاعر[١]:

فلو أنا على حجر ذُبِحْنَا ∴ جرى الدميانُ بالخبر اليقين

وقال قوم أصله دمى ، إلا أنه لما حذف ورُدَّ إليه ما حذف منه حركت الميم لتدل الحركة على أنه استعمل محذوفاً [٢]

وهو بهذا يعرب ما يحتاج إلى إعراب ، ويفسر ما يحتاج إلى تفسير مستدلا على ما يقول بالشواهد الشعرية.

---

[١]- ورد هذا البيت فى اللسان : مادة دم ، وينسب إلى عبد بنى الحسحاس ، وقيل لعلى بن بدال ، والمثقب العبدى.

[٢]- الزَّجَّاج : معانى القرآن وإعرابه ، ج١ ص ١٦٥.

obeikan.com

ونجده يناقش النحاة ويفند آراءهم ، أو يؤيدهم ، وهو فى هذا الصدد يورد قراءات اللغويين المشهورة ليوضح المعنى ، ثم يورد القراءات الشاذة ويفندها ويرد عليها مستدلا على رأيه بما قرأ به شيوخ العربية من ذلك قوله تعالى: (إن تبدوا الصدقات فنعِمَّا هي) [1] قال الزَّجَّاج: روى أبو عبيدة أنَّ أبا جعفر وشيبة ونافعاً وعاصماً وأبا عمرو بن العلاء قرأوا: (فَنِعْمَّا هي) بكسر النون وجزم العين وتشديد الميم، وروى أن يحيى بن وثاب ، والأشمس وحمزة والكسائى قرأوا: (فَنِعما هي) بفتح النون وكسر العين. وذكر أبو عبيد أنه روى عن النبى ﷺ قوله لابن العاص: نَعْمَّا بالمال الصالح للرجل الصالح ، فذكر أبو عبيد أنه يختار هذه القراءة من أجل هذه الرواية. ولا أحسب أصحاب الحديث ضبطوا هذا ، ولا هذه القراءة عند البصريين النحويين جائزة ألبتة ؛ لأن فيها الجمع بين ساكنين من غير

[1] – سورة البقرة: آية /٢٧١.

حرف مد ولين. فأما ما قرأناه من حرف عاصم رواية أبى عمرو (فِنِعَّما هى) بكسر النون والعين ، فهذا جيد بالغ ، لأن هاهنا كسر العين والنون ، وكذلك قراءة أهل الكوفة (نَعِمَّا هى) جيدة لأن الأصل فى (نعم) : نِعْمَ ونِعُمَ ونِعِمَ. ونعم فيها ثلاث لغات ، ولا يجوز مع إدغام الميم نِعْمَّا هى. و(ما) فى تأويل الشئ ، وزعم البصريون أن نِعِمَّا هى: نَعْمَ الشىء هى[١].

وخلاصة كل ما سبق أن أسلوب الزَّجَّاج فى هذا الكتاب القيم يتميز بالتفقه فى اللغة وإلمامه لألفاظها واستنباطه لأسرارها ، لذلك كان شديد العناية بالمعنى يتخير الألفاظ للمعانى ، لا المعانى للألفاظ ، وكان يراعى فى تفسيره أن يكون مطابقاً لمقتضى الحال ، يميل إلى تأدية المعنى من أقرب طريق ، وهو بهذا يكون قد أوضح ما أشكل فهمه من آى الذكر الحكيم. ومن ثَمَّ يعد هذا الكتاب

[١]- الزَّجَّاج ، معانى القرآن: ج١ ص ٣٥٣ وما بعدها.

– فى رأينا – من كتب التفسير واللغة التى أثرى بها المكتبة اللغوية.

وقد حقق هذا الكتاب الدكتور عبد الجليل شلبى ونشر جزأين منه سنة ٤١٥هـ= ١٩٧٤م بالقاهرة ، ثم أعيد طبعه كاملاً سنة ١٤١٨هـ=١٩٩٧م بدار الحديث بالقاهرة.

٢- ما ينصرف وما لا ينصرف :

وهو المصنف القيم للزجاج الذى جرد همته لتأليفه ، وأضاف إليه باباً جديداً فى أحكام التسمية بحروف الهجاء ، وبعض مركبات الأسماء وطريقة النطق بهما[١] وهذا الباب يتصل اتصالاً وثيقا بما يحدث فى تطور الأسماء فى اللغة على مر العصور.

والزَّجَّاج – وهو من هو – لغوى نحوى تفرد بذكر آراء لم يذكرها سابقوه معللا لها ومستدلا على صحة ما يقول، شارحًا لنا ما غمض من كلامهم ، مصوبًا له ، وهو أقرب

[١]– انظر، ما ينصرف وما لا ينصرف: من ص ١٥٢ إلى ص ١٦٨.

إلى التأديب فى تصويب ما يراه ، وإذا كان أسلوبه فى هذا الكتاب قريباً جداً من أسلوب سيبويه حيث يعتمد عليه فى كثير من أحكام الممنوع من الصرف التى يبحثها ، وذلك بأخذه الكثير من نصوص سيبويه حتى إنه ينقل النص بعينه، فإنه قد تفرد بذكر آراء لم يذكرها سيبويه ، يقول- مثلا- فى منع كلمة (أخر) من الصرف ، إنها معدولة عن (الألف واللام) وإنها صفة ، وقولنا صفة لم يذكره سيبويه ، ولكنه ذكر ما يدل عليه ، قال: والذى أذهب إليه أن (أخر) اجتمع فيها: أنها استعملت بغير (ألف ولام) وأدت عن حقيقة: (أخر منك) فأدت عن معنى الصفة ، وهذا كأنه شرح لمذهب سيبويه [١].

فالزَّجَّاج له شخصيته المستقلة فى المسائل التى يعرضها ، ومن ذلك-مثلا- قوله: (وهذا عند الاختيار..)[٢].

---

[١]- الزَّجَّاج ، ما ينصرف وما لا ينصرف : ص ٥٤ وما بعدها.

[٢]- المصدر السابق ، الصفحة نفسها.

وهو كذلك يهتم بالاشتقاق ، ويشرح جزئيات المادة اللغوية شرحاً وافياً ، من ذلك – مثلا– قوله: (شتان) بناء وقع لالتقاء الساكنين ، لأن (شتان) موضوع موضع المصدر مبنى على (فعلان) والفعل من هذا مصدره (الفعل) تقول: (شت أمرهم يشت شتا ، وتشتت تشتتا ، فلما بنى على (فعلان) جعل بمنزلة الأصوات ، وكان معناه فى التشتت (مشبها باب) (صه ومه) كما أشبه باب (دراك) الأصوات ، وإن كان من (أدرك يدرك) [١]

وأيا كان الأمر فإن السمة الغالبة فى شرحه للمسائل التى اختارها هى التوسط بين البسط والإيجاز ، وهو يشرح النص الذى يتناوله ويبين المراد منه ، ويعلل لوجهة نظره ، وإذا كان هناك نقض فنده ، أو اعتراض أجاب عليه فى عبارة واضحة وبينه دون إسهاب فى الشرح أو إغراق فى التعليق.

---

[١]– المصدر السابق : ص ١٢٥.

ونظراً لأهمية الكتاب فقد طبع ثلاث طبعات ، الأولى صدرت عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامى– سنة ١٣٩١هـ=١٩٧١م بتحقيق الدكتورة هدى محمود قراعة ، والثانية صدرت عام ١٤١٤هـ=١٩٩٤م نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ، والثالثة عام ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة.

٣- فعلت وأفعلت

وهو أول كتاب فى بابه اكتسى بحلة جديدة من التنظيم والترتيب ، ويظهر هذا جليا إذا ما قورن بكتاب (فعلت وأفعلت) لأبى حاتم السجستانى (ت ٢٥٥هـ) باعتباره أقدم ما وصل إلينا فى هذا اللون من التأليف ليسهل التماسه على طالبه ، فإذا جاء شئ فى أوله الباء طلبه فى بابه ، وكذلك سائر الحروف من بابه [١]

ويشتمل الكتاب على ما تكلمت به العرب على لفظ (فعلت وأفعلت) والمعنى واحد ، مثل قوله (جَنَّهُ الليلُ وأجنه) وجن عليه

[١]- الزَّجَّاج ، فعلت وأفعلت : ص ٥٠.

الليلُ إذا أظلم عليه وستره[١] ويشتمل كذلك على ما تكلمت به العرب على لفظ (فعلت وأفعلت) والمعنى مختلف مثل: جاز الرجل: إذا استقى الماء ، وأجاز: إذا أُعْطِى جائزة [٢]

وقد طبع الكتاب ثلاث طبعات حتى الآن ، الأولى سنة ١٩١٣م ، فى مجموعة (الطُّرَفُ الأدبية لطلاب علوم العربية) بتحقيق ونشر محمد أمين الخانجى ، والثانية سنة ١٩٤٩م ، بتحقيق عبد المنعم خفاجى ، ونشره على خربوش بالمطبعة النموذجية بالقاهرة ، والثالثة سنة ١٤١٥هـ= ١٩٩٥م بتحقيق وتقديم الدكتورين رمضان عبد التواب ، وصبحى التميمى ، ونشرته مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة.

٤- مختصر فى النحو

لم يصل إلينا هذا الكتاب ، لكنه ذكر فى إنباه الرواة ، ج١ ص١٦٥ ، ووفيات الأعيان ، ج١ ص٤٩، والفهرست: ص ٩١ ، وبغية الوعاة : ج١، ص٤١٢.

---

[١]- المصدر السابق : ص ٥٩.

[٢]- المصدر السابق : ص ٦٢.

٥- العروض

لم يصل إلينا هذا الكتاب ، لكن معظم من ترجم للزَّجَّاج ذكره فقد ذُكر فى وفيات الأعيان: ج١ ص٤٩، وبغية الوعاة: ج١ ص٤١٢ ومعجم الأدباء: ج١ ص١٥١، وإنباه الرواة: ج١ ص ١٦٥، والفهرست: ص٩١ ، وطبقات المفسرين: ج١ ص١٠ ، وكشف الظنون: ص١٤٣٨، ومفتاح السعادة :ج١ص١٦٤ ، وقد ذكر ابن سيده فى المخصص مسألة عروضية عن الزَّجَّاج وهى (لا يجوز فى فاعلان من الرمل) فإذا قلنا : قيل وقال ، وجعلنا اللام موقوفة ، فقد صار فَعَلاَن مكان (فَاْعِلاَن) وإذا أطلقناها صار فَاْعِلَاتُن. انظر المخصص: ج١٧ ص ٥٦.

٦- الرد على ثعلب فى الفصيح

يوجد منه نسخة خطية فى المكتبة التيمورية بدار الكتب بالقاهرة ضمن مجموعة برقم (٣٣٢) لغة تيمور ، وفيها تعقيب من ياقوت الحموى على رد الزَّجَّاج يقول:

وهذه المآخذ التى أخذها الزَّجَّاج على ثعلب لم يسلم إليه العلماء باللغة فيها ، وقد أَلَّفو تأليفاً فى الانتصار لثعلب ، انظر معجم الأدباء : ج١ ص١٤٣. وقد ذكر هذا الكتاب كذلك فى نزهة الألباء : ص٢٤٤، وإنباه الرواة : ج٣ ص١٤١، والمزهر: ج١ ص٢٠٢. من هؤلاء العلماء أبو منصور الجواليقى (ت ٥٤٠هـ) فعلى الرغم من كونه متابعا للبصريين فى معظم مسائل الخلاف بين الفريقين فإن اهتمامه بالرواية وحبه وشغفه بها ، جعله لا يفرط بأية رواية حتى إذا خالف قياس أصحابه ، فناصر ثعلب الكوفى على الزَّجَّاج البصرى ، وألف رسالة فى الرد عليه، تقع فى إحدى عشرة صفحة ، يوجد منها نسخة خطية بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، ثم نشرت وحققها الدكتور صبحى التميمى ، والدكتور عبد المنعم أحمد ، بعنوان (الرد على الزَّجَّاج فى مسائل أخذها على ثعلب) وطبعتها جامعة السليمانية بالعراق سنة ١٩٧٩م.

٧- الاشتقاق

لم يصل إلينا هذا الكتاب ، لكن معظم من ترجموا له ذكروه يقول السيوطى: (مثال فى الاشتقاق الأكبر مما ذكره الزَّجَّاج فى كتابه : قال قولهم شجرت فلانا بالرمح.. انظر المزهر: ج١ ص٣١٥ ، وإنباه الرواة : ج١ ص١٦٥، وبغية الوعاة : ج١ ص٤١٢ ، وكشف الظنون: ص١٣٩١، ومعجم الأدباء : ج١ ص١٥١ ، والفهرست: ص٩١، وشذرات الذهب : ج٢ ص٢٥٩.

٨- الإبانة والتفهيم عن بسم الله الرحمن الرحيم

لم يذكره أحد ممن ترجم للزجاج ، وإنما ذكره بروكلمان فى كتابه (تاريخ الأدب العربى : ج٢ ص١٧٢، قائلاً : إن نسخة منه فى جوتا برقم ٧٢٧ وأرجح أنها هى التى ذكرها ابن خير فى فهرسه ص٣١٤، قائلا: جزء فيه شرح بسم الله الرحمن الرحيم لأبى إسحاق وذكر سند روايته.

٩- الفروق

لم يصل إلينا هذا الكتاب ، لكن معظم مترجموه ذكروه، فقد ذكر فى الفهرست : ص٩١، وفى نزهة الألباء : ص٢٤٤، وإنباه الرواة : ج١ ص١٦٥، وكشف الظنون: ص١٤٤٦ ، وطبقات المفسرين : ج١ ص١٠ ، ومعجم الأدباء : ج١ ص١٥١.

١٠-الأنواء

لم يصل إلينا هذا الكتاب ، لكن ورد منه نص فى تثقيف اللسان لابن مكى الصقلى ، يقول: (وقال الزَّجَّاج فى كتاب الأنواء ، إذا أخبرت عن الليلة التى أنت فى صبيحتها، فقلت: أكلت الليلة كذا ، انظر تثقيف اللسان ، ص٨٥ ، واقتبس منه البغدادى فى خزانته أيضا قائلاً : قال أبوإسحاق الزَّجَّاج فى كتاب الأنواء : ذراع الأسد المقبوضة ، وهما كوكبان نيران بينهما كواكب صغار ، انظر خزانة الأدب: ج١ ص٣٦٩ ، وذكر كذلك فى الفهرست: ص١٣٠،

ووفيات الأعيان: ج١ ص٤٩ ، وإنباه الرواة: ج١ ص١٦٥، وكشف الظنون ص ١٣٩٩.

١١- النوادر

لم يصل إلينا هذا الكتاب ، لكن ورد ذكره فى كشف الظنون: ص ١٩٨٠، ووفيات الأعيان: ج١ ص٤٩، ومعجم الأدباء: ج١ ص١٥١، وطبقات المفسرين ج١ ص١٠

٢- الأمالى

لم يصل إلينا هذا الكتاب ، لكن ذكره بعض مترجموه فقد ذكر فى المزهر: ج١ ص٤٠٩ ، يقول السيوطى: من أمالى الزَّجَّاج من أسامى العسل : السعابيب وذكركذلك فى شذرات الذهب: ج٢ ص ٢٥٩ ، ووفيات الأعيان: ج١ ص ٤٩ ، ومفتاح السعادة : ج١ ص ١٦٤.

١٣- شرح أبيات سيبويه

لم يصل إلينا هذا الكتاب ، لكن معظم مترجمى الزَّجَّاج نصوا على ذكره ، انظر: إنباه الرواة: ج١ ص١٦٥، وكشف الظنون : ص١٤٢٨، ومعجم الأدباء : ج١ ص١٥١، ومفتاح السعادة : ج١ ص١٦٤، وبغية الوعاة: ج١ ص٤١٢ ، والفهرست : ص ٩١.

١٤- المقصور والممدود

لم يصل إلينا لكن ذكره بعض من ترجم له أمثال حاجى خليفة فى كشف الظنون: ج٢ ص ١٤٦١.

١٥- خلق الإنسان

توجد منه نسخة خطية بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية بالقاهرة ضمن مجموعة لغة تيمور برقم ٣٣٢ ، وذَكَرَ بروكلمان فى كتابه تاريخ الأدب العربى أنه موجود بالمتحف البريطانى برقم ٨٣٦م وذُكِرَ كذلك فى وفيات الأعيان ج١ ص٤٩، والفهرست: ص٩١، وإنباه الرواة:

obeikan.com

ج١ ص١٦٥ ، ومعجم الأدباء ج١ ص١٥١، وبغية الوعاة، ج١ص٤١٢ ، ومفتاح السعادة: ج١ ص ١٦٤

١٦- خلق الفرس :

لم يصل إلينا لكنه ذكر فى إنباه الرواة: ج١ ص١٦٥، ووفيات الأعيان: ج١ ص٤٩ ، وكشف الظنون: ص٧٢٣، ومعجم الأدباء: ج١ ص١٥١، والفهرست: ص٩١ ، ومفتاح السعادة : ج١ ص ١٦٤.

١٧- الشجرة

لم يصل إلينا هذا الكتاب ، ولم يذكره أحد ممن ترجموا له ، لكن ابن هشام أورد نصا منه فى كتابه مغنى اللبيب ج١ ص١٦٣، قائلا: أجل حرف بمعنى نعم حكاه الزَّجَّاج فى كتاب الشجرة.

المؤلفات المنسوبة للزجاج

١- إعراب القرآن

نشره وحققه السيد إبراهيم الإبيارى سنة١٩٦٣/١٩٦٥

بالقاهرة ، وأثبت المحقق فى تحقيقه لهذا الكتاب أنه لمكى بن أبى طالب المتوفى سنة ٤٣٧هـ.

٢- حروف المعانى:

لم يصل إلينا هذا الكتاب ، ونسبه الزَّجَّاجى تلميذ الزَّجَّاج فى كتابه مجالس العلماء: ج٢ ص١٧٥ ، ونسبه كذلك بروكلمان فى كتابه تاريخ الأدب العربى: ج٢ ص١٧٢ ضمن مؤلفات الزَّجَّاج وقال توجد نسخة منه فى لالى تحت رقم ٣٧٤٠.

obeikan.com

الخاتمة

obeikan.com

الخاتمة

وبعد فلقد كان مفيداً بعد أن حاولنا بعون الله وتوفيقه إنجاز هذا البحث أن نستخلص النتائج الآتية:

أولاً : يُعَدُّ الزجاج شاعرًا وراويًا للأشعار والأخبار والأدب متقناً لكل هذه العلوم ، ولعل حبه لهذه العلوم كان من أبرز صفاته ، فقد عشق هذا المضمار منذ نعومة أظفاره ، ولا غرابة فى ذلك فقد تتلمذ على شيوخ عصره فى العلم والأدب "شعره ونثره" ممن تبوأوا الصدارة ، إلى جانب ما كان يتحلى به من رجاحة العقل ودماثة الخلق والتزام الصواب فى الحياة وطلب العلم والحرص على الدرس والتحصيل ، كل هذا جعله يتبوأ مكانة عالية بين علماء عصره .

ثانياً : ترك لنا الزجاج مجموعة من المؤلفات العلمية فى الأدب والشعر واللغة والحديث والفقه والتفسير ، كلها تهدف إلى التعلم والإفادة ، وكلها مؤلفات نفيسة أثرى بها المكتبة العربية ، إلا أنها لم تسلم من حوادث

الأيام وعوادى الزمن ، فما بقى منها إلا القليل النفيس .

ثالثاً : حفظت لنا المصادر التى ترجمت للزجاج أبيات من الشعر ، أغلبها من شعر الحكمة ، وهذا يتفق مع روعه وخوفه من الله .

رابعاً : للزجاج عدة مناظرات أدبية مع معاصريه كانت إجابته محددة ، لا يعتمد فيها على الإسهاب ، وسرد ما يمكن الاستغناء عنه .

obeikan.com

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، دار صادر بيروت ، ط ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥م

٢- ابن الأثير ، اللباب فى تهذيب الأسماء ، دار صادر بيروت، ط ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م

٣- أحمد مصطفى ، مفتاح السعادة ، تحقيق كامل بكرى ، وعبدالوهاب أبو النور ، القاهرة ، ط ١٩٦٨م.

٤- الأزهرى ، تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون وآخرين ، القاهرة ، ط ١٩٦٤م.

٥- ابن الأنبارى ، نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، د.ت.

٦- البغدادى ، تاريخ بغداد ، مطبعة الخانجى ، ط ١٩٣١م.

٧- ابن تغرى برى ، النجوم الزاهرة ، ج٤ ، ط ١٩٦٧م.

٨- ثعلب ، مجالس ثعلب ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، ط٤ ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠م

obeikan.com

٩- ابن الجزرى ، طبقات القراء ، نشر برجشتراسر ، مطبعة السعادة ، د.ت.

١٠- ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ط ١٩٦٨م.

١١- الداووى ، طبقات المفسرين ، تحقيق على محمد عمر ، مطبعة الاستقلال ، ط١ ، ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٥م.

١٢- الزبيدى ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبوالفضل ، دار المعارف ، ط ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٣م.

١٣- الزجاج ، إعراب القرآن المنسوب للزجاج ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، ط القاهرة ١٩٦٣ / ١٩٦٥م.

١٤- الزجاج ، فعلت وأفعلت ، نشر وتعليق محمد عبد المنعم خفاجى ، المطبعة النموذجية ، ط ١٣٦٨ هـ = ١٩٤٩م.

١٥- الزجاج ، ما ينصرف وما لا ينصرف ، تحقيق دكتورة هدى محمود قراعه ، مكتبة الخانجى ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ.

١٦- الزجاج ، معانى القرآن وإعرابه ، تحقيق دكتور عبدالجليل شلبى ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ = ١٩٩٧م.

obeikan.com

١٧- الزجاجى ، مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٢ ، ط ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣م.

١٨- السمعانى ، الأنساب ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمى ، ط حجرية ، ليدن ، ط ١٩١٢م.

١٩- سيبويه ، الكتاب ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ط٢ ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢م.

٢٠- السيرافى ، أخبار النحويين البصريين ، تحقيق الزمينى وخفاجى ، القاهرة ، ط ١٩٥٥م.

٢١- السيوطى ، الأشباه والنظائر ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٤م.

٢٢- السيوطى ، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ط ١٩٦٥م.

٢٣- طرفة بن العبد ، الديوان ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، د.ت

٢٤- ابن الشجرى ، الأمالى ، تحقيق د/ محمود الطناحى ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ط ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢م.

openkan.com

٢٥- أبو الطيب اللغوى ، مراتب النحويين ، محفوظ بدار الكتب المصرية برقم/ ١٤٢٥ هـ تاريخ تيمور.

٢٦- العماد الحنبلى ، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، المكتبة التجارية ، بيروت د.ت.

٢٧- أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، تعليق دكتور محمد فؤاد سركين ، مكتبة الخانجى ، د.ت

٢٨- القاضى التنوخى ، تاريخ العلماء النحويين ، تحقيق دكتور عبد الفتاح الحلو ، الرياض ، ط ١٩٨١م.

٢٩- ابن قاضى شهبة ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محسن عياض ، مطبعة العانى بالنجف ، د.ت.

٣٠- القفطى ، إنباه الرواه على أنباء النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ط ١٩٥٥م.

٣١- محمود ياقوت " دكتور " معاجم الموضوعات ، دار المعرفة ، الجامعية بالإسكندرية ط ١٩٩٤م.

٣٢- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط٣ ، د.ت

٣٣- المعجم الوسيط ابن المعتز ، طبقات الشعراء ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٧٦م.

٣٤- ابن منظور ، لسان العرب ، طبعة بولاق ، ١٣٠٠ هـ / ١٣٠٧هـ .

٣٥- ابن النديم ، الفهرست ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت .

٣٦- ابن هشام ، مغنى اللبيب ، دار إحياء الكتب العربية ، د.ت

٣٧- النووى ، تهذيب الأسماء واللغات ، المطبعة المنيرية ، د.ت

٣٨- ياقوت الحموى ، معجم الأدباء ، دار صادر بيروت ، د.ت

obeikan.com

obeikan.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المبحث الأول: ترجمة حياة الزجاج	٤
أولاً: الزجاج اسمه ولقبه	٥
ثانياً: موله ونشأته	٧
ثالثاً: وفاته	٨
رابعاً: شيوخه	١١
خامساً: خلقه	١٥
المبحث الثاني: ثقافته وأشعاره	١٩
أولاً: ثقافته	٢١
ثانياً: مكانته العلمية	٢٤
ثالثاً: مناظرته مع معاصريه	٢٨
رابعاً: ثراء الزجاج وتعليمه لبني مارقة وتأديبه للقاسم ابن وزير المعتضد عبيد الله	٣٤

obeikan.com

خامساً: أشعاره	٣٨
سادساً: منادمته للمعتضد	٤١
سابعاً: تلاميذه	٤٢
المبحث الثالث: آثاره ومؤلفاته	٤٩
١- معاني القرآن وإعرابه	٥١
٢- ما ينصرف وما لا ينصرف	٥٧
٣- فعلت وأفعلت	٦٠
٤- مختصر في النحو	٦١
٥- العروض	٦٢
٦- الرد على ثعلب في الفصيح	٦٢
٧- الاشتقاق	٦٤
٨- الإبانه والتفهم عن بسم الله الرحمن الرحيم	٦٤
٩- الفروق	٦٥
١٠- الأنواء	٦٥

obeikan.com

١١- النوادر	٦٦
١٢- الأمالى	٦٦
١٣- شرح أبيات سيبويه	٦٦
١٤- المقصور والممدود	٦٧
١٥- خلق الإنسان	٦٧
١٦- خلق الفرس	٦٨
١٧- الشجرة	٦٨
المؤلفات المنسوبة للزجاج	٦٨
الخاتمة	٧٠
المصادر والمراجع	٧٣
الفهرس	٧٩

حقوق التأليف والطبع محفوظة للمؤلف

obeikan.com